*الملاحظة*

*بحث في القياس والتقويم التربوي*

*إعداد/ محمد سعد حسن*

*قسم التربية*

*كلية التربية– جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*mohamad.saad@mediu.ws*

*خلاصة*—هذا البحث يبحث في الملاحظة.

*الكلمات المفتاحية: الملاحظة، الدراسات، التدريس، المقاييس*.

# ***المقدمة***

معرفة أسس الملاحظة، وهناك عدد من الدراسات المتنوعة التي قامت على أساس الملاحظة بالعينة، أخذ العينة بالزمن، تلك الطريقة لها ميزات؛ لأنها تسمح للباحث أن يركز على السلوكيات بعينها في إطار فترة زمنية محددة، ويعتقد الباحثون أن هذه الطريقة أنها طريقة موضوعية؛ لأن الطالب يتم رصده في الموقف الطبيعي الحقيقي، والباحث يكون مدربًا تمامًا، وقادرًا على أخذ تلك الملاحظات، بدون تحيز بمنتهى الدقة؛ فهو يحدد مدى تكرارات تلك السلوكيات دون إعطاء أي إحساس أو كيفية ارتباط تلك السلوكيات بعضها ببعض؛ إذًا هناك قائمة للسلوكيات التي سوف يتم ملاحظتها، وهناك جدول بعدد التكرارات.

1. *المقالة*

من ضمن الأدوات التي تستخدم في التقويم: الملاحظة:

التقويم بالملاحظة يعنى بفعالية الأداءات التعليمية والتدريبية التي يعرضها الطلبة بعد مرورهم في خبرات تعليمية أو تعلمية أو تدريبية مصممة من ضمن أهداف التدريس في المنهاج، ويجب أن تكون المعرفة التي لديهم مزودة بكم مناسب من المعلومات التي تساعدهم في الأعمال، ويجب أن تكون تلك الأعمال قيمة وتخطيطية وبنائية لأن يترتب عليها نتائج مهمة جدًّا في مراجعة الأهداف، وأيضًا في أساليب التدريس والتدريب من حيث مدى مناسبتها ودقتها في تنفيذ الأهداف.

أيضًا الملاحظة تزودنا بالنتائج التحصيلية لدى المدرسين والمدربين بفكرة عن فاعلية أساليب التدريس، أو نماذج التدريس التي استخدمت، وعن مدى ملاءمتها للأهداف المرصودة لها، والتي يترتب عليها من تعديلات مناسبة في ضوء نتائج التقويم.

ولقد تنوعت -كما أشرنا- أساليب التقويم للحكم على مدى فاعلية مصمم تدريسي، أو برنامج تدريبي، أو أهداف، أو أساليب موضوعية، أو أساليب ذاتية، ومن الأساليب ما تعتمد أيضًا على تقنيات متقدمة إلى أساليب تقليدية، وإلى غيرها من آراء الخبراء والمتخصصين في المجال.

عند التطرق إلى الملاحظة، الملاحظة تعد عملية يقوم بها الباحث متعمدًا على إدراكاته وحواسه في جمع المعلومات حول ظاهرة ما ينوي دراستها؛ فهي مهارة تعتمد على إمكانات أولية متوفرة لدى الفرد؛ لذا فإن أي فرد يتمكن من الملاحظة، ومن ثم يمكن أن تعرف الملاحظة على أنها وسيلة أساسية وضرورية، ومصدر للحصول على المعلومات من مواضع الدراسة، أو المواقف الصفية أو التدريبية المختلفة؛ لأن الملاحظة هي انتباه مقصود نحو سلوك ما في مواقف الحياة، وهي مواقف متنوعة ومختلفة خاصة بالجوانب التربوية أو الجوانب الاجتماعية، ومن ثم فيجب على الملاحظة العلمية أن تكون منظمة ومحددة الهدف لملاحظة السلوك، ثم تدوين ذلك السلوك.

ولهذا نجد العديد من الباحثين أقبلوا على استخدام الملاحظة الطبيعية للدراسة سواء كان سلوك المدرس في الفصل، والتفاعلات اللفظية التي تحدث مع البرامج التدريبية المختلفة؛ لأن الملاحظة ظاهرة مباشرة، ويتمكن الباحث من التمييز والمحاكاة، وقدرات خاصة أيضًا مرتبطة بها مثل: الرؤية، والسمع، والملاحظة سهلة التسجيل، ومن ثم يجدر بنا الإشارة أن جميع هذه الأدوات لها أهميتها في جمع وتحليل المعلومات التي يستخدمها الباحث.

أيضًا يمكن استخدام أسلوب الملاحظة الطبيعية في دراسة ظاهرة تحصيلية مثل القدرة على القراءة، وفي تنفيذ مهمات تدريبية مختلفة يمكن الملاحظة، إنشاء إعداد تجربة ما؛ فهو أسلوب بحثي جيد، وتعتبر من أفضل الطرق لجمع البيانات؛ لأن الملاحظة ترصد السلوك الفعلي في الواقع الطبيعي أو في الميدان الطبيعي، ولهذا هي من أدق أدوات جمع البيانات.

وهناك أنواع مختلفة ومتنوعة، منها:

أخذ العينة بالزمن، وأخذ العينة بالحدث، ثم مقاييس التقدير، وصف العينة التي يمكن استخدامها في التعلم والتدريب أيضًا، ولكل نوع من تلك الأنواع لها أسلوبها المختلف.

أولًا : أخذ العينة بالزمن:

تلك الطريقة تستخدم في دراسة عملية التدريس والتدريب، يعتمد على أخذ العينة الأدائية على الملاحظة، فالباحث يختار السلوك أو المشكلة التي سوف يتطرق إليها في مجال التعليم، وتحدث خلال فترات زمنية تكون في العادة قصيرة المدى تتراوح بين دقيقة واحدة وخمس دقائق، وتلك الطريقة تستخدم بشكل فردي بحيث تتطابق على طالب، أو بشكل جماعي على مجموعة من الطلاب؛ بحيث تتم ملاحظة سلوكهم بشكل دوري؛ لتحليل التفاعل الصفي القائم على تسجيل الملاحظة للسلوك اللفظي لكل طالب، أو السلوك المباشر للمعلم، أو غير المباشر.

وهناك عدد من الدراسات المتنوعة التي قامت على أساس الملاحظة بالعينة، أخذ العينة بالزمن، تلك الطريقة لها ميزات؛ لأنها تسمح للباحث أن يركز على السلوكيات بعينها في إطار فترة زمنية محددة، ويعتقد الباحثون أن هذه الطريقة أنها طريقة موضوعية؛ لأن الطالب يتم رصده في الموقف الطبيعي الحقيقي، والباحث يكون مدربًا تمامًا، وقادرًا على أخذ تلك الملاحظات، بدون تحيز بمنتهى الدقة؛ فهو يحدد مدى تكرارات تلك السلوكيات دون إعطاء أي إحساس أو كيفية ارتباط تلك السلوكيات بعضها ببعض؛ إذًا هناك قائمة للسلوكيات التي سوف يتم ملاحظتها، وهناك جدول بعدد التكرارات.

ثانيًّا: أخذ العينة بالحدث: تلك الطريقة تستخدم في دراسة أحداث محددة مثل ممارسة مهارة، أو تعلم مهمة، أو أداء خبرة تعلمية، واستخدام المعلم لأحد الأساليب، مدى تكرار الطلبة لها، ونجد هنا التركيز يصبح على الأحداث النوعية باعتبارها وحدات للتحليل؛ إذ يقوم الباحث بملاحظة الأحداث الصفية والتدريبية، ثم يقوم بوصفها ويعتمد على وصفه للحدث الأسلوب السردي.

فلو كانت القائمة تحتوي مثلًا على المعلم دون الطلبة، أو المعلم مع الطلبة، أو المعلم مع مجموعة من الطلاب، وأخيرًا طالبان مع شخص آخر حسب تلك المجموعة التي سوف يحددها الباحث، نجد أن تلك الطريقة تتميز عن طريقة الزمن، فإنها تستخدم لدراسة الظواهر النادرة الحدوث، ومن مثل الأشياء التي ممكن أن تستثيرنا، وتثير العجب، وتثير التفكير أثناء البحث.

ومنها التعبير التلقائي لطالب ما حول مفهوم ما، فهو حدث نادرًا، وعادة ما يجلب انتباه المعلم، تلك الطريقة تسمح للباحثين بدراسة وحدات السلوك، وتحدد الشكل الطبيعي في البيئة، ولكن عليها مآخذ هو ضعف الثبات في القياس لتلك الأساليب، وهو أسلوب الأخذ بالعينة.

ثالثًا: أسلوب التحليل المتتابع: في التحليل المتتابع نجد الباحث يستخدم ذلك الأسلوب في مجالات بحثية تنحصر في ربط السلوك بسلوك آخر، أو معرفة ما إذا كان السلوك مشروطًا بسلوك سابق أم لا، وهنا يقوم باستخدام مسجل أحداث الكتروني يسمح بالتسجيل بأقصى سرعة، ثم يقوم بعدها بتحليل البيانات بواسطة الحاسوب.

وليس هناك شك في أن أسلوب التحليل المتتابع يمكن أن يكون فعالًّا في دراسة التفاعل القائم بين المعلم والتلميذ، أو بين الطلاب وبين زملائهم -أقرانهم- وبهذا يتضح لنا أهمية الملاحظة.

رابعًا: مقاييس التقدير: فتعطى المقاييس تقدير أحكام عن السلوك المدرك عن طريق الحواس في الظاهرة الصفية، ويتم تقديرها بأسلوب مدروس دائمًا أحيانًا نادرًا، ولكن تلك الظاهرة تتأثر بسلوك الباحث؛ فهي تتأثر بالعوامل الذاتية.

وبهذا يتبين لنا عند رصد السلوك فإن هناك أربع وسائل أو أربعة اتجاهات لرصد السلوك، أو ملاحظة السلوك: رصد العينة بالزمن، رصد العينة بالحدث، ثالثًا رصد الديمومة، ورصد الكمون. فرصد الديمومة يعد قياس الفترة الزمنية، وبدقة التي يدوم فيها ذلك السلوك المستهدف، ومدى مقاومته للتلاشي.

وأيضًا من خلال أسلوب الديمومة أو أرصد الديمومة يمكن تحديد مفهوم السلوك المستهدف بصورة إجرائية أكثر؛ لأن هنا يتمكن الملاحظ من رصد البدايات ورصد النهايات، ويتأكد من الفترة الزمنية التي يستديم فيها ذلك السلوك، فإذا كان المعلم مهتمًّا بتقليص الوقت الذي يستغرقه أحد الطلاب في إنهاء واجب مدرسي لا بد من مقياس فترة لقياس ديمومة السلوك، وهو حل الواجبات.

رصد الكمون: رصد الكمون هو الزمن الذي يمكن أن يستغرق بين سلوك وسلوك آخر، يعني انتهينا من سلوك، بداية نهاية السلوك انتهى السلوك ونبدأ في حساب الزمن لبداية سلوك آخر جديد، يعد الزمن الذي يقع مثلًا بين السلوكين هو زمن الكمون، ولهذا يجب علينا تحديد السلوك المستهدف، وتعريفه بصياغة إجرائية، وتحديد بداية السلوك، وتحديد نهاية السلوك، وينبغي استخدام هذا النوع من القياسات في الدراسات حول مشكلات الطعن.

بغض النظر عن استراتيجيات الرصد فهناك عدد من القضايا البحثية التي تساعد في اتخاذ القرار، ثبات التقويم السلوكي وصدقه، ولكن يجب علينا أن نشير إلى أن هناك بعض العيوب المرتبطة بالملاحظة الصفية، أو الملاحظة الأدائية أو التدريبية؛ فالملاحظة الصفية في حاجة إلى وقت كبير وجهد كبير من الباحث، أيضًا تفتقر الملاحظة إلى الثبات؛ لأنها تعتمد على الحواس وإدراك الباحث، ومن ثم تختلف من شخص لآخر ومن موقف لآخر.

انخفاض درجة الدقة نظرًا لأن الملاحظ يقوم بتسجيل ظواهر تحدث في الواقع، ومن ثم يصعب إخضاعها للتجربة، أيضًا استخدام أدوات مقننة في القياس لا يمكن الاستعانة بها؛ لأنها صعبة جدًّا من حيث الدقة والثبات.

ولهذا نجد أن هناك أساليب متنوعة متقدمة في الملاحظة يذكر منها غرفة العزل التي صممت خصيصًا لدراسة الطلبة في مراكز التدريب المهني، والتعليمي، والتدريب العسكري؛ إذ يستطيع الباحث مراقبة سلوك الطلبة داخل الغرفة دون علمهم، ومن غير أن يؤثر في سلوكهم، حتى لا يدفع ذلك إلى تصنع الطلاب.

الملاحظة أشرنا من قبل إلى أنها من أصدق الأدوات وأدقها، وأن العديد من الباحثين يعتمدون عليها؛ لأنها ترصد السلوك الطبيعي في المواقف الطبيعية، ولكن حتى تتم الملاحظة، وتصبح مضبوطة علينا اتباع عدد من الإجراءات والتدابير بهدف جعل تلك الملاحظة مضبوطة ومنخفضة العيوب والمشكلات.

أولًا: الإعداد، والإعداد يتطلب من الباحث التخطيط المسبق للسلوك موضع الدراسة، وتحديد هدف الدراسة، وتحديد الأدوات اللازمة لها.

ثانيًا: الزمان، أي تحديد زمن الملاحظة وعدد تكراراتها لعينة السلوك نفسه.

أيضًا تحديد المكان، أي تحديد المكان الذي سوف تجرى فيه الملاحظة، هل تتم الملاحظة في الملعب أم في الفصل أو في المعمل أو في معمل الصوتيات حسب المكان فيجدر بنا تحديد مكان الملاحظة.

أيضًا إعداد مسبق للوسائل التي سوف تستخدم لرصد السلوك التعليمي أو السلوك الذي سيتم رصده.

اختيار عينات سلوكية ممثلة للملاحظة؛ إذ يتعين على الباحث أن يغطي جوانب السلوك كلها الخاصة بالطالب؛ بحيث تشمل أكبر عدد ممكن من المواقف.

أيضًا يجب أن تتم ملاحظة الطفل الواحد في الموقف الواحد، وفي الوقت الواحد. ويفضل أن يكون هناك أكثر من ملاحظة، ملاحظ واحد للموقف الواحد ضمانًا للموضوعية.

ونجد من أبرز الذين لاحظوا الطفل كان "بياجير"، التسجيل الفوري لسلوك الملاحظة وعدم الانشغال بتفسير تلك السلوكيات؛ لأن الانشغال بالتفسير سوف يؤثر على مستوى تركيز القائم بالملاحظة، ويصرفه عن سلوكيات أخرى لن يتمكن من رصدها، تلك هي الملاحظة المضبوطة.

النوع الثاني من الملاحظة: هي الملاحظة الطبيعية، أو الملاحظة غير المضبوطة، وهي إحدى طرق البحث التي تستخدم في جمع البيانات عن طريق ملاحظة الكائن الحي في المواقف الطبيعية، والمواقف الحقيقة الطبيعية دون أدنى تصنع ظروف؛ فالموقف هنا تلقائي، عدم اصطناع أية ظروف أو تدابير، ومن ثم هو في بيئة غير مضبوطة.

# المراجع والمصادر

1. اللقاني، اللقاني احمد حسين (المناهج بين النظرية والتطبيق)، عالم الكتب، القاهرة، 1981م
2. محمد حسين، آل ياسين. محمد حسين (مبادئ في طرق التدريس العامة)، بيروت، الطبعة الرابعة، 1991م
3. القصيري، القصيري. موفق عبد الله (الدليل العملي في تعليم اللغة العربية وآدابها)، ماليزيا، دار التجديد، 2006م
4. حسيني، حسيني. محمد سمير (التربية أصول وأساسيات)، القاهرة، مطبعة سعيد، 1978م
5. حامد، منصور أحمد حامد (تكنولوجيا التعليم وتنمية القدرة على التفكير والابتكار)، الكويت، دار السلاسل، 1986م